في الذكرى الثمانين لميلاد مؤسس صحيفة 14 أكتوبر

مسيرة زاخرة بالعطاء في رحاب السياسة والصحافة و الفكر

تصادف هذا اليوم الذكرى الثمانين لميلاد الفقيد عبدالباري قاسم مؤسس صحيفة ومؤسسة ١٤ أكتوبر، الذي ولد في السابع من نوفمبر ١٩٢٦م، وتوفاه الله في حادث تفجير طائرة الدبلوماسيين في محافظة شبوة في الثلاثين من ابريل عام ١٩٧٣م.

والفقيد من مواليد مدينة كريتر - عدن . ١٩٢٦/١١/٧وقد تعلم في صباه على يد والده العلاَّمة المشهور الشيخ قاسم صالح السروري الهاشمي أصول علوم القرآن والحديث والفقه واللغة والنحو. ثم درس المرحلتين الابتدائية والمتوسطة في مدارس الشيخ عثمان.

بدأ الفقيد حياته العملية في سن مبكرة - كأقرانه أواخر الأربعينيات - معلماً لمواد الديانة الإسلامية واللغة العربية والتاريخ في (مدرسة النهضة) بالشيخ عثمان . وفي هذه السن المبكرة أيضاً، تجلت موهبته الأدبية في الشعر والقصة القصيرة، بما نشره - خلال العقدين الرابع والخامس من القرن السابق في صحيفتي (فتاة الجزيرة) و(الأيام) مع بداية إصدار كل منهما. وقد عمل الفقيد في فترتين قصيرتين - متباعدتين - محرراً في صحيفة (الأيام) مطلع الخمسينيات أولاً، ثم مطلع الستينيات. وكان أحد أبرز وجوه النخبة الطليعية المثقفة التي أسست (النادي الثقافي) في الشيخ عثمان، آنذاك. ثمّ هاجر إلى المملكة العربية السعودية، حيث استقر للعمل في إدارة إحدى الشركات في العاصمة (الرياض) بين العامين ١٩٥٥ - ١٩٦٢ م.

في مطلع شبابه التحق الفقيد عبدالباري قاسم متطوعا بالفرقة اليمنية للدفاع عن فلسطين عام ١٩٤٨م، ثمّ التحق بصفوف (حركة القوميين العرب) منذ بداية تأسيسها. وأثناء العدوان الثلاثي - أكتوبر ٥٦ م على مصر - وخلال عمله في السعودية ، غادر إلى (الإسكندرية) ضمن طلائع المتطوعين - القوميين العرب - في صفوف المقاومة الشعبية المسلحة ضد العدوان ، ثم عاد بعدها إلى محل إقامته وعمله في السعودية.

وفور قيام الثورة اليمنية ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م . غادر السعودية - نهائياً - عائداً إلى عدن التي لم يمكث فيها سوى بضعة أشهر ومن عدن، انتقل المناضل عبد الباري قاسم إلى تعز، قبيل انطلاق ثورة ١٤أكتوبر ٦٣م ، كواحد من مؤسسي (حركة القوميين العرب - فرع اليمن) و (الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل) . وشارك في أعمال المؤتمر الأول للجبهه القومية - يونيو ٦٥م - كما شارك ايضا في صياغة أسس وصياغة (الميثاق الوطني)- أول(دليل نظري) للثورة بقيادة (الجبهة القومية). وكان المناضل عبد الباري قاسم حينها مسؤولاً عن إعلام الجبهة، ومكتبه في تعز.

الفقيد يصافح الرئيس الأسبق سالم ربيع ويبدو في الصورة الاخوة محمد علي هيثم ومحمد صالح عولقي وحيدر ابوبكر العطاس وعبدالعزيز الدالي

عاد الفقيد سراً إلى عدن، بتكليف من قيادة الجبهة القومية، متوجهاً إلى حضرموت - أواخر ٦٦م لمهمة تعزيز العمل التنظيمي السياسي السري في حضرموت : الساحل والوادي- باسمه التنظيمي / الحركي (حسين باعبَّاد)، حيث انتقل بعد تحرير سلطنة (العوادل) - يوليو ٦٧م - إلى (لودر) مسؤولاً تنظيمياً عن المنطقة ، وبضمنها (مكيراس / الظاهر).

وبعد تحقيق الاستقلال الوطني - ٣٠ نوفمبر ٦٧ م .- تم تعيين المناضل السياسي، المثقف، الأديب والكاتب الصحافي الثوري عبد الباري قاسم أول رئيس مجلس إدارة ومدير عام لأول مؤسسة وطنية للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان في جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية آنذاك، تلك هي مؤسسة ١٤ أكتوبر.

كما شغل في الوقت نفسه، منصب أول رئيس تحرير لأول صحيفة يومية- رسمية - تصدرها الجمهورية الوليدة، من العاصمة (عدن) وهي (صحيفة١٤ أكتوبر) التي أصدر العدد الأول منها في ١٩ يناير ١٩٦٨م صبيحة الذكرى العشرين بعد المائة للاحتلال البريطاني لعدن.

وإلى الأستاذ عبد الباري قاسم شخصياً- يعود شرف اقتراح تسمية الصحيفة والمؤسسة باسم ذلك اليوم التاريخي العظيم: يوم انطلاقة الثورة الشعبية المسلحة ١٤ أكتوبر ٦٣م. كنقيض ونفي لليوم الآخر يوم الاحتلال. ليس ذلك فحسب، بل وله الفضل الأكبر في تنظيم الجهود التأسيسيه الأولى لإنشاء الصحيفة والمؤسسة معاً.

شارك عبدالباري قاسم في أول مؤتمر قومي لقادة الإعلام العربي، انعقد في القاهرة - بالجمهورية العربية المتحدة في فبراير ١٩٦٨، بدعوة من الزعيم الخالد جمال عبد الناصر ، والذي حضر افتتاح أعمال المؤتمر والتقى بأعضائه.

وفي المؤتمر العام الرابع للجبهة القومية، بزنجبار / أبين - مارس ٦٨م. - أول مؤتمر وطني للجبهة بعد الاستقلال وتسلّم الحكم، أعيد انتخاب المناضل عبد الباري قاسم عضواً في أعلى هيئة سياسية وتشريعية - حينها - هي (القيادة العامة للجبهة القومية)، والتي انتخب منها لعضوية (اللجنة التنفيذية).

وفي إبريل ١٩٦٨، قام بمهمة المبعوث الشخصي للرئيس الراحل قحطان محمد الشعبي، إلى جمهورية اندونيسيا، ممهداً بتلك المهمة لاقامة علاقات دبلوماسية بين حكومتي البلدين وافتتاح سفارة للجمهورية في العاصمة الاندونيسية، على قاعدة اللقاء والتنسيق مع قيادة الجالية اليمنية هناك.

وفي مايو ١٩٦٩ تم تكليفه بقيادة محافظة حضرموت وإعادة ترتيب الأوضاع فيها نظرا لعلاقته ومعرفته الحسنة بأبناء المحافظة.

بعد قيام حركة ٢٢ يونيو٦٩١٩م ، تم تعيين الفقيد عبدالباري قاسم وزيراً للثقافة والإرشاد ووزيراً للتربية والتعليم بالوكالة ، على مستوى السلطة التنفيذية، وعضواً في اللجنة التنظيمية العليا للتنظيم السياسي الجبهة القومية. كما ترأس وفد جمهورية اليمن الديمقراطية في يناير ١٩٧٠م إلى مؤتمر البرلمانيين العرب المنعقد في القاهرة، والذي ترأسه عن الجمهورية العربية اليمنية انذاك الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر.

وفي مطلع سبتمبر ١٩٧٠م ، وضع استقالته من منصبيه الوزاريين أمام الرئيس الراحل سالم ربيع علي - رئيس مجلس الرئاسة آنذاك بسبب عدم اقتناعه بالتوجهات اليسارية المتطرفة والممارسات الخاطئة التي شاعت في بداية السبعينات ، وبعد استقالته عمل الفقيد سفيراً مفوضاً فوق العادة في جمهورية الصومال من ١٩٧٠ وحتى يوم استشهاده.

كما قام بافتتاح أول سفارة لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية - آنذاك - في صيف ١٩٧١ في كل من كينيا وتنزانيا، حيث اصبح سفيراً غير مقيم فيهما حتى لحظة استشهاده .

وفي الثلاثين من ابريل ١٩٧٣ م قضى الفقيد عبدالباري قاسم نحبه في الحادث المدبر لطائرة الدبلوماسيين ، عقب انتهاء أعمال مؤتمر الدبلوماسيين الأول الذي دعت إليه القيادة السياسية آنذاك.

وللفقيد من زوجته الفاضلة السيدة عائشة ابنة إحدى الأسر العدنية العريقة أسرة المرحوم / عمر عوض الصياد - ستة أبناء، هم : معن (دكتوراه/ علم نفس)، لؤي (دكتوراه/قانون)، خلدون (دكتوراه/ جراحة عامة)، ناهد (ماجستير/قانون)، وليد (دكتوراه علاقات دوليه)، نازك (دكتوراه / كيمياء نفطية)، علاوة على ابنه البكر- من زيجته الأولى- السيد العميد ركن طارق عبد الباري قاسم.

الفقيد في وزارة الثقافة ويبدو وراءه الأستاذ الراحل علي باذيب الذي شغل منصبي وزير الإعلام والثقافة في فترات لاحقة

الشيخ الهلالي واللحم والذباب في بلاد الفرنجة

بعد ما فعلاه أبو حمزة المصري، والمنقبة التي أطلقنا عليها اسم أم حمزة المصرية، من مشكلات في البلد الذي استضافهما، وهو بريطانيا بسبب غلوهما باسم الإسلام، فأساءا للإسلام والمسلمين، فإذا بوكالات الأنباء تنقل للعالم كله قصة الشيخ تاج الدين الهلالي، وقالت عنه أنه الإمام الأكبر للمسلمين في مدينة سيدني، أكبر مدن أستراليا.

وفحوى القصة أن هذا الشيخ قد أفتي في أحد خطب يوم الجمعة خلال شهر رمضان بأن السفور ، أي عدم ارتداء الحجاب أو النقاب، هو مثل اللحم المكشوف الذي يجذب الذباب، ولا يمكن طبقاً للشيخ الهلالي، والأمر كذلك، لوم المغتصبين، إن هم تحرشوا، أو اعتدوا، أو اغتصبوا هذا اللحم المكشوف، كما لا يمكن لوم الذباب الذي يهاجم اللحم المكشوف!.

وقد هاجت استراليا وماجت، حينما ترجمت خطبة هذا الشيخ من العربية إلي الإنجليزية. وكان في مقدمة الغاضبين كل من السيدة برو جوارد، مفوضة المناهضة ضد التمييز علي أساس النوع، والسيد جون هوارد، رئيس وزراء استراليا، وقد طالبا بعزل هذا الشيخ من منصبه كإمام لمسجد سيدني، حيث اعتبرا فتوي الشيخ بمثابة تشجيع علي الاغتصاب، ولوم ضحايا الاغتصاب علي ما يقع لهن أو عليهن من الرجال المغتصبين، وهو أمر غير مقبول في المجتمع الاسترالي، المتعدد الثقافات والأديان، لا للنساء المسلمات أو غير المسلمات، ما دمن مواطنات استراليات، لهن نفس حقوق الرجال، وعليهن نفس واجبات الرجال.

ويبدو أن الجالية الإسلامية في استراليا شعرت بالحرج الشديد، بسبب ما قاله هذا الرجل المعمم ، والذي من الواضح أنه يعتقد أن عمامته تعطيه الحق في إصدار الفتاوي، أو أن اعتلاء المنبر، يعطيه حصانة مطلقة للتفوه بأي كلام، بصرف النظر عن المكان والزمان التي يصدر فيهما الفتاوي والكلام.

وقد أوردت وكالات الأنباء التي نقلت حكاية الشيخ تاج الدين الهلالي، أنه من أصل مصري، ويعيش في استراليا منذ عدة سنوات، وقد تجنس بالجنسية الاسترالية منذ سنتين. ويبدو أنالرجل قد أدرك هول المصيبة التي جلبها للإسلام والمسلمين في استراليا، والتي جلبها علي نفسه أيضاً. فقد طالب كثير من الاستراليين بترحيل هذا الشيخ... ولما اتضح أنه الآن مواطن استرالي ، يمنع القانون الاسترالي ترحيله، طالب البعض بتعديل القانون، للتخلص ممن يبثون خطاب الكراهية والتفرقة علي أساس النوع أو الدين أو العرق... أو علي الأقل استحداث مواد في قانون العقوبات الاسترالي تعاقب من يمارس هذا النوع من الخطابات.

ولإدراك الشيخ الهلالي لخطورة موقفه فإنه تراجع عما قاله واعتذر عنه، وبرر موقفه بأن كلامه قد تم تحريفه ، ولكن لان للرجل سوابق في هذا الصدد، فإن الرأي العام الاسترالي، وفي مقدمته رئيس الوزراء جون هوارد، اعتبر اعتذار الشيخ الهلالي غير كاف، وطالبوا بفصله من موقعه، إذا لم يبادر هو بتقديم استقالته.

د. سعدالدين إبراهيم *

واغلب الظن أن الرجل الذي قيل أنه من أصل مصري، لن يستقيل ، فنادراً ما يستقيل المصريون من مواقعهم أو يتخلون عنها طواعية، حتي إذا ارتفعت الأصوات المطالبة بذلك، ولعل لنا في رؤسائنا ووزرائنا أصدق وأسوأ الأمثلة. بل ولا أستبعد أن يفضل الشيخ تاج الدين الهلالي السجن في استراليا عن العودة إلي مصر. وهذا هو ما حدث لبعض طالبي اللجوء والهجرة في بلد مشابه، وهو كندا . ففي الصيف الماضي اتهمت السلطات الكندية عدداً منهم بالتورط في مخطط إرهابي لنسف البرلمان الكندي، ومؤسسات كندية أخري. ويسمح القانون الكندي في مثل هذه الحالات إما بترحيل المتهمين إلي بلادهم الأصلية أو إلي بلدان أخري تقبلهم علي أرضها، أو محاكمتهم وسجنهم في حالة إدانتهم. وكان الغريب والمحزن أن المصريين المتهمين في ذلك المخطط، فضلوا هم وأسرهم، البقاء في كندا، حتي ولو في سجونها. وهو ما دفعني في حينه، وكنت في زيارة لكندا، أن اكتب مقالاً بعنوان لو لم أكن مصرياً لوددت أن أكون كندياً! . والعنوان هو تحريف لقول مأثور للزعيم الوطني مصطفي كامل، في أحد خطبه الحماسية منذ قرن، لو لم أكن مصرياً، لوددت أن أكون مصرياً .

أما سوابق الشيخ الهلالي فتتضمن تصريحاً له في أعقاب إعصار تسونامي الذي راح ضحيته عشرات الآلاف من البشر معظمهم من الأطفال في إندونيسيا، وسيريلانكا، والهند، مسلمين وهندوك وبوذيين. إن الإعصار كان غضباً ومقتاً من الله عز وجل علي العاصين من خلقه. أما لماذا يغضب سبحانه من الأطفال الذين لا حول لهم ولا قوة، ولم يتعلموا بعد المعاصي ، فلم يكلف هذا الشيخ نفسه مشقة السؤال، وبالطبع لم يذكر الشيخ، وأغلب الظن أنه لا يعرف أن هناك ظواهر طبيعية، مثل الرياح والأعاصير، والزلازل والبراكين، تحدث دورياً في أمكنة وأزمنة، ولا علاقة لذلك ببشر معينين، سواء كانوا فاسدين أو صالحين، عُصاة أم تقاة. وكيف لشيخ مثل الهلالي، لم يدرس وربما لم يسمع عن علم اسمه الجيولوجيا! .

ومن سوابق الهلالي أيضاً ما صرّح به في أعقاب تدمير برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك منذ خمس سنوات. وهي نفس الاسطوانة المشروخة عن غضب الله ومقته علي من لا يحبهم هذا الشيخ الذي لا يبدو أن المحن والآلام البشرية لا تحرك فيه أي مشاعر إنسانية بالمرة.

أما مسألة لحم النساء والذباب، والتماس العذر لمن يهجم عليه وينهشه، فهي صورة مجازية متوحشة، مغرقة في تخلفها وبدائيتها، فضلاً عن انعدام أدني مستويات الذوق والحس السليم.

ويذكرنا الشيخ تاج الدين الهلالي هذا، بشيخ آخر لا يقل عنه تخلفاً، وهو إمام مسجد مدريد، عاصمة أسبانيا، الذي صرّح منذ سنوات في إحدي خطب الجمعة أيضاً بجواز ضرب الزوجات الناشزات . وهو الأمر الذي أثار عليه وقتها عاصفة من الاحتجاج مثلما حدث في استراليا الأسبوع الماضي (أكتوبر ٢٠٠٦). وربما يفهم أمثال هؤلاء فهماً حرفياً، دونما اعتبار لما يسميه الفقهاء بإدراك أسباب نزول النصوص أو الآيات القرآنية، ودونما اعتبار للسياقات المجتمعية المعاصرة. فكما أنه غير مقبول الآن ممارسة العبودية و الرق ، و ما ملكت أيمانكم ، فليس مقبولاً في معظم المجتمعات المتقدمة مثل أسبانيا واستراليا وبريطانيا معاملة النساء، كما لو كن ناقصات علم ودين ، أو كما لو كن مجرد لحم يغري بالاعتداء والانتهاك والاغتصاب. إن النسبية في فهم نصوص وأحكام الدين، هي التي أوحت بالقول النبوي المأثور إن أهل مكة أدري بشعابها . هذه النسبية نفسها هي التي جعلت الإمام الشافعي، يفتي في مصر بغير ما كان قد أفتي به في العراق، حول نفس الأمور.

إن الفهم الوهابي المتزمت لنصوص القرآن والسنة النبوية، ربما كان مناسباً للبيئة الصحراوية التي ظهر فيها هذا المذهب. أما أن يأخذه أصحابه من ذلك السياق الصحراوي البدوي إلي سياقات أخري أكثر تحضراً وتعقيداً، ففيه إساءة بالغة لروح الدين الإسلامي الحنيف.

وأن المرء ليعجب من هؤلاء المشايخ الذين يختزلون الإسلام وأحكامه في فرعيات وجزئيات خاصة بالمرأة، من حياضها ونفاسها، إلي نشوزها وضربها، إلي لحمها وانتهاكها. وبأن المرء ليعجب أكثر وأكثر كيف ينتهي الأمر بهؤلاء المشايخ، وهم الأكثر تخلفاً، إلي بلاد مثل كندا واستراليا، وهي الأكثر تقدماً. ربما يكون المسلمون في هذه البلدان أفضل حالاً لو دربوا هم أئمة وخطباء منهم أنفسهم مثل د. طارق رمضان في سويسرا، ود. نعيم الشربيني في واشنطن، ويتركون مشايخنا المتخلفين لنا هنا، عملاً بالحكمة الربانية إذا بليتم فاستتروا . والله أعلم.

* كاتب مصري

بين الانتصار على لبنان والانتصار على اسرائيل

هل يساهم التصعيد، بما في ذلك النزول ألى الشارع، في تحسين الوضع اللبناني في شيء أم أنه تعبير عن مأزق تعيشه أطراف ثلاثة هي النظام الأيراني والنظام السوري و"حزب الله" الذي أخذ لبنان واللبنانيين ألى حرب ليست معروفة ألى اللحظة مبرراتها.

حصل ذلك على الرغم من أن الطفل في السياسة يدرك سلفاً، خصوصاً في ضوء ما حصل في قطاع غزّة، طبيعة الرد الأسرائيلي على قتل ثمانية جنود أسرائيليين وخطف أثنين داخل "الخط الأزرق" في منطقة حدودية ليست موضع نزاع بين لبنان والدولة اليهودية.

لا تفسير منطقياً للتصعيد الذي لجأ اليه الأمين العام ل"حزب الله" السيّد حسن نصرالله في الحديث التلفزيوني الأخير الذي أدلى به الثلثاء الماضي سوى الرغبة في تسجيل أنتصار على الفرقاء اللبنانيين الآخرين يصب في مصلحة تكريس لبنان ملعباً تمارس فيه دمشق وطهران مناورات شبيهة بتلك التي تمارس حالياً في غير مكان من المنطقة. ولا بدّ في هذا المجال من تكرار أن الأنتصار على لبنان ليس أنتصاراً على أسرائيل. من السهل النزول ألى الشارع وتعطيل الحياة في بيروت وغير بيروت، لكنّ الصعب هو البناء والمساهمة في تجاوز المحنة التي يمرّ فيها البلد بعيداً عن أي كلام عن أنتصارات لا علاقة لها بالواقع اللهمّ ألاّ أذا كان تحويل لبنان ورقة ضغط سوريّة أو أيرانيّة يعتبر أنجازاً!

لا مصلحة للبنان واللبنانيين في التصعيد وتوجيه الأنذارات كما فعل الأمين العام ل"حزب الله"، ذلك أن المنطق الوحيد الذي يفسّر مواقفه الأخيرة يندرج في سياق تحويل السلاح في أتجاه الداخل من منطلق أنّه ورقة ضغط على لبنان واللبنانيين الذين عليهم الأعتراف، بشكل لا لبس فيه، بأنّهم رهائن هذا السلاح والتصرف أنطلاقاً من ذلك، أي تحت الضغط. لو لم يكن الأمر كذلك، لكان "حزب الله" أستجاب للدعوات ألى تسليم سلاحه ألى الجيش اللبناني أو للصيغ المطروحة الهادفة ألى أيجاد صيغة تجعل مقاتليه جزءاً من قوات الشرعية اللبنانية على رأسها الجيش الذي كان ممنوعاً عليه التوجّه ألى الجنوب في الماضي. ألى أمس قريب، كان أرسال الجيش ألى الجنوب "خيانة وطنية" بحجة أن المقاومة يجب أن تظل على الحدود. ماذا كانت نتيجة هذا المنطق الأخرق؟ من دفع ثمن هذا المنطق؟ أوليس ما تعرّض له لبنان في حرب الصيف الماضي ما يوفّر أسباباً موجبة للخروج من المزايدات والشعارات الفارغة التي لم تصب في النهاية سوى في مصلحة أسرائيل؟

لم يفت الأوان بعد كي يظهر "حزب الله" أنّه حزب لبناني أولاً وأنّ مصلحة لبنان تهمّه وأنّه لا يسعى ألى أظهار أن أيران على تماس مع أسرائيل في جنوب لبنان عبر صواريخه التي لم تكن في أي وقت قوة ردع بمقدار ما أنها سمحت للعدو الأسرائيلي بممارسة أرهاب الدولة. وتمثّل ذلك في تدمير آلاف البيوت وتشريد عشرات آلاف اللبنانيين فضلاً عن توجيه ضربة قاصمة ألى الأقتصاد اللبناني. على العكس من ذلك، في أستطاعة الحزب التعويض عن بعض الأضرار التي تسبب بها للبنان واللبنانيين عن طريق السعي ألى أقناع المسؤولين في أيران بأن لبنان "الساحة" لا يفيدهم في شيء. على العكس من ذلك، ما يفيدهم هو أستخدام لبنان لأظهار الوجه الحضاري لأيران في شكل دولة منفتحة على جيرانها وعلى أهل المنطقة أولاً وأنّها ليست دولة عدوانية تستغلّ أي فرصة تتاح لها بغية تأكيد نيّتها في الهيمنة. من يقول كلاماً مخالفاً يمكن أحالته على فضية الجزر الأماراتية الثلاث، أبو موسى وطنب الصغرى وطنب الكبرى، التي تحتلّها أيران منذ العام ١٩٧١، أيّ منذ أيام الشاه الراحل. ما الذي تغيّر منذ تلك الأيام؟ الجواب أن لا تغيير في السياسة الأيرانية وأنّ الأطماع لا تزال هي أيّاها...

هل في أستطاعة "حزب الله" الأقتناع بأنّ لا مصلحة له في أن يكون تابعاً لأيران وأنّ عليه وضع مصلحة لبنان فوق كل مصلحة؟ أنّها نقلة نوعية تمثّل التحدي الأكبر الذي يواجه الحزب. ولكن يبقى ما هو أهم من ذلك، أن يتمكّن الحزب من أظهار أنّه يستطيع أفهام النظام السوري بأن عليه التخلّي عن حلم العودة ألى لبنان عسكرياً وعن عقدة الأنتقام من لبنان واللبنانيين. وبكلام أوضح، هل يستطيع الحزب وضع نفسه في خدمة لبنان بدل رفع الشعارات الكبيرة التي لم تجلب سوى الكوارث والمآسي على البلد، وأقناع القيّمين على النظام في سوريا أن تفجير الوضع في لبنان لا يفيدهم في شيء وأنّ لبنان المزدهر أفضل خدمة لسوريا والسوريين والعكس صحيح. يمكن لسوريا أن تزدهر في حال كان لبنان مزدهراً. لن تستفيد سوريا بشيء من تفجير في لبنان، بل أن تدهور الوضع اللبناني لا بدّ من أن يرتدّ عليها عاجلاً أم آجلاً.

من حمى لبنان خلال العدوان الأسرائيلي كان حكومة لبنان. على "حزب الله" أمتلاك ما يكفي من الشجاعة للأعتراف بذلك. أن كلّ النظريات التي بنى عليها الحزب سياساته، بما في ذلك الأحتفاظ بالسلاح على خلاف اللبنانيين الآخرين سقطت في الحرب الأخيرة. لم يردع السلاح الذي لدى الحزب أسرائيل التي تذرّعت بالصواريخ التي أطلقت عليها كي تضرب من دون رحمة ما تسبب في خسائر ضخمة كان لبنان في غنى عنها. مرّة أخرى، ثمة حاجة ألى نقلة نوعية يقوم بها "حزب الله" تكون بديلاً من أدارة سلاحه في أتجاه الداخل اللبناني. لكنّ السؤال الذي يفرض نفسه مجدداً هل يمتلك الحزب حريّة قراره؟ وهل لديه غير الشعارات الكبيرة وتخوين الآخرين لتبرير غياب هذه القدرة؟ في كلّ الأحوال، أن وقفة شجاعة للحزب تشمل عملية نقد للذات في العمق ستوفّر الكثير على لبنان واللبنانيين وسوريا والسوريين وأيران والأيرانيين في مرحلة يمكن أن تكون حبلى بالمفاجآت على الصعيد الأقليمي. في البداية كما في النهاية، أن الأنتصار على لبنان ليس بديلاً من الأنتصار على أسرائيل!أكثر من ذلك أن التصعيد الذي يعدنا به السيّد حسن نصرالله هو دعوة للعودة ألى الحرب الأهلية لا أكثر ولا أقلّ. هل من لبناني من أي طائفة من الطوائف أستفاد من هذه الحرب؟

خيرالله خيرالله *

* كاتب لبناني